

## القضية الفلسطينية

### في كتاب وفيلم ومجلة جنسية

بعد رسالة شوقي الخطيب الى الراي العام الانكليزي يدا الكتيب بمقدمة عن الارهاب السياسي في اسرائيل ، يشير فيها الى الكثير من الحالات والى العديد من التقارير الرسمية التي ادانت هذا الارهاب الاسرائيلي وفصلت بعض ملامحه .. مثل تقارير لمنظمة ( الصليب الاحمر الدولية ) عام ١٩٦٨ و ( للامم المتحدة ) عام ١٩٧٠ و ( لمنظمة العفو الدولية ) عام ١٩٧٠ و ( للجنة القدس ) عام ١٩٧٠ و ( لرابطة حقوق الانسان والحقوق المدنية في اسرائيل ) عام ١٩٧٠ . ويتحدث فيها ايضا عن حالات اختطاف واختفاء بعض المواطنين العرب بواسطة أجهزة الاين الاسرائيلية . وعن ( قانون العسوة ) المضحك المؤلم معا الذي اصدرته اسرائيل عام ١٩٥٠ والذي اصبح بموجبه من حق أي يهودي أن يحظى بالجنسية الاسرائيلية بمجرد ان يضع قدمه فوق ارض اسرائيل . بينما لا تزال السلطة الصهيونية ترفض أن يعود أي عربي فلسطيني الى ارضه ، بل وتعمل جاهدة ، مستخدمة كل الوسائل غير المشروعة لاجلاء بقية العرب واجبارهم على ترك بلادهم فلسطين . وعن سلسلة المحاكمات السياسية المعروفة باسم حلقات التجسس والتي اجريت في اسرائيل عام ١٩٧٢ وعن منظمة ( الجبهة الحمراء ) التي اتهمتها اسرائيل بتنظيم حركة للكفاح المسلح ضد الدولة الصهيونية .. وعن ( المنظمة اليهودية اليسارية المعادية للصهيونية ) .. وعن كثير من الوقائع والجزئيات التي تعد بمثابة تمهيد ذكي لحالة شوقي الخطيب .. يؤكد للقارئ ان ما سيقراه عن عذابات شوقي الخطيب ليس مجرد حالة فردية ، ولكنه جزئية صارخة ضمن عشرات الوقائع والجزئيات .. وحلقة واحدة في كتاب طويل متعدد الصفحات والفصول هو كتاب العذاب والمقاومة الفلسطينية من ناحية .. وهو كتاب المسف والارهاب الصهيوني المتعصب من ناحية اخرى .

ومن صفحات هذا الكتاب يقدم لنا شوقي الخطيب بعض الوثائق .. ومن أبرز هذه الوثائق خطاب الحماية التقدمية فيليبيا لانجر الى ضابط البوليس ساسون في ادارة المهومات الخاصة بالناصرة . تحت عنوان ( اعادة الشكوى فيما يتعلق باستجواب شوقي الخطيب ) . وفيما يلي ترجمة لهذا الخطاب :

في ٢٥ يناير ١٩٧٢ قابلت في ( منتقل باجور الاحتياطي ) المحتجز شوقي الخطيب ، بعد أن فوضني بموجب توكيل موقع منه ، وهو شيء اراد أن يفعله منذ فترة طويلة من الزمن ، للدفاع عنه . وقد سمعت شكايات مرة من موكسلي تتعلق بالتعذيب الذي تعرض له أثناء

صدر أخيرا في لندن كتاب بالانكليزية بعنوان « الارهاب السياسي في اسرائيل : حالة شوقي الخطيب » (١) . وفي هذا الكتيب مجموعة من الوثائق كنت أتمنى لو استطاعت أن ترى الشهور على نطاق واسع ، وان يتاح للقارئ الانكليزي العادي أن يقرأ بعضها في صحف الصباح التي تهتلء صفحاتها بحالات اضطهاد اليهود ومماناتهم في مختلف بلاد العالم .. لكن اذا اضطهد اليهود الآخرون وعذبوهم فان الصحف تصمت عن جرائم هؤلاء الصهاينة .. مرة اخرى هل نستطيع ان نوقف هذا الانحياز السافر للصهيونية في الاعلام الانكليزي ؟ .. يبدأ الكتيب برسالة من شوقي الخطيب المسجون في سجن الرملة الاسرائيلي الى الذين تعاطفوا مع قضيته من الانكليز .. تكشف هذه الرسالة عن نضج تفكير هذا المناضل العربي الشاب وعن فرحته بأهمية التحول في رؤية الغرب لاسرائيل وسقوط الاسطورة الاعلامية الزائفة .. يقول شوقي : « في الماضي لم تكن أنت وحدك ، بل العالم كله ، لا يعرف شيئا عنا نحن الشعب الفلسطيني .. وكما قلت فقد كانت اسرائيل هي التجسيد لعودة اليهود التي أثبتت عنها التوراة .. وكانت اسرائيل بعد ذلك هي « الكيبوتزات » و « الشعب الذي يحارب من أجل البقاء » .. أما نحن .. الشعب الفلسطيني فقد كنا في نظر العالم مجموعة من اللاجئين .. نوع من ضحايا حرب غير منطقية .. أما اليوم ، فقد بدأ العالم يرى ان كل شيء في دولة اسرائيل ليس سليما او نظيفا . لقد استطاع العالم أن يدرك ان هناك شعبا فلسطينيا . مليونان من الفلسطينيين يعيشون اليوم بعيدا عن وطنهم ، ونصف مليون آخر يرزح تحت وطأة الاضطهاد القومي الصهيوني . ومع ذلك فقليلون هم الذين يفهمون الصهيونية حقا فهي مختلف ابعادها » .. هذا ما يبدأ به شوقي الخطيب رسالته ، ولكن ما لم يقله في هذه الرسالة هو انه هو وأمثاله من المناضلين هم الذين يدفعون اليوم الثمن الباهظ لهذا التحول السدي بدأ يولد والذي يحتاج الى جهود الجميع حتى ينمو ويستمر .. شوقي الخطيب كأي مناضل حقيقي يتمتع بقدر كبير من نكران الذات ، وبهتم بان يشكر مسانديه في الغرب لانهم يمنحونه الثقة في الانسان ويساعدونه على الاستمرار في نضاله العادل الطويل . لكن الكتيب بوثائقه المتعددة يحاول ان يقدم للقارئ الغربي بعض ملاحق الثمن الفادح الذي يدفعه المناضلون الفلسطينيون واليهود في الدولة العسكرية الصهيونية .

(١) كانت « لجنة العمل الفلسطيني » قد قدمت هذا الكتاب في مؤتمر صحفي عقدته في لندن منذ بضعة أشهر .

الاستجواب . ففي اليوم الرابع من اعتقاله ٨ ديسمبر ١٩٧٢ احضر مستجوبه الى الزنزانة التي اخذ اليها موكلي كابلا كهربائيا ذا لون ابيض ، كما احضر هراوة تشبه مضرب التنس . واخذ المستجوب ( بكر الواو ) الذي لا يعرف موكلي اسمه في تجريد موكلي من ملابسه ثم اخذ يلمس خصتيه بالكابل الكهربائي .. الذي لم يكن في البداية متصلا بالتيار .. وكان المستجوبون يقولون له : « سوف نقوم باخصائك ، وسوف ينام شخص آخر مع زوجتك » ( احب ان اوضح هنا ان اصطلاح ( ينام مع ) هو تعبيرى الخاص ، لان الكلمات القذرة التي استعملها المحققون لا يسمح المجال بذكرها ) . وبعد ذلك سمح له المحققون بان يرتدي ملابسه ، ثم اخلوا يضربونه على راسه بتلك الهراوة . وبعد ان تلقى حوالي ثلاثين هراوة على راسه اجلسوه على كرسي ، وبدأ المحققون واحد من كل جانب ينتفون شعره حول اذنيه ومن صدغه ومن حاجبيه . وبعد فترة من الوقت جردوه من ملابسه ثانية وقال احدهما للآخر : « هيا .. وصل الكابل بالتيار الكهربائي .. لا بد ان نخصي ابن العاهرة هذا .. فقد وجدنا بالفعل من ينام مع زوجته بدلا منه » .. وعلى كل حال ، لم يوصل الكابل بالتيار وسمح لشوقي بان يرتدي ملابسه مرة اخرى . ثم بدأ المحققون يوسعونه ضربا ولكما في كل انحاء جسمه . وكان الاستجواب يدار بواسطة عدد من المحققين في وقت واحد . كلهم في ملابس مدنية واحدهم ينادى باسم مستعار ( ابو جميل ) والآخر ( ابو عصام ) وكانت الاسماء المستعارة تتغير باستمرار ، لدرجة ان موكلي لم يستطع ان يتبين اذا ما كانت هذه الاسماء المستعارة هي اسماء دورية ام اسماء محسدة لبعض المحققين .

وفي ٢٦ ديسمبر ١٩٧٢ ، وبعد اعتقال رامي ليفنه ، يقدر موكلي ان فترة المعاملة الوحشية بدأت من جديد . واخذوا يستجوبونه مرة اخرى . وكان المحققون يجذبونه من شعره بينما هو جالس على كرسي حتى يرفعوه من على الكرسي معلقا من شعره بهذه الطريقة ، ثم يتركونه يسقط فوق الكرسي من جديد . وفي مرة اخرى لا يستطيع موكلي ان يذكر تاريخها بالضبط ظلوا يضربونه بهراوة غليظة قصيرة على راسه حتى اوشك على الاغماء ، ولما كاد يسقط أمسكه محقق آخر ليمنعه من السقوط .

وبعد اعتقال رامي فان المحققين احضروا موكلي الذي كان « محتجزا في ( عكا ) الى ( ياجور ) في محاولة لبحث رامي على الاعتراف الى مستجوبه . ولما فشلوا في ذلك فقد اعيد مرة اخرى الى ( عكا ) . وخلال هذه الفترة فان موكلي كان يلتم ويضرب بالمصي والارجل كل يوم بصورة منتظمة .

وفي الاسبوع الاول من يناير او حول ذلك التاريخ ، فان المحققين قد وضعوا موكلي في زنزانة واحدة مع رامي ليفنه ، كان ذلك في سجن ( ياجور ) .. وفي احدى الاسبوع والسابعة والثامنة مساء اخذ الى الاستجواب ، وجرده المحققون من ملابسه تماما ، ووضعوه تحت دش وفتحوا الصنبور فتدفق من الدش ماء بارد جدا أغرق موكلي .. وبعد فترة اخذ هكذا الى غرفة اخرى .. حيث عصب المحققون عينيه وهو عار تماما .. واحس بانهم يلصقون شيئا مثل شرائط البلاستيك اللاصقة في قدميه . ثم « لبث نتيجة لذلك ان احس فجأة بتشنج رهيب واهتز جسمه كله ، وانفتح فمه على آخره كأنه يريد ان يصرخ ولكنه لم يستطع . ووجد فمه هو الآخر قد اصيب بصدمة تشنجية مؤلمة . ويعتقد موكلي ان هذه صدمات قد حدثت بواسطة الكهرباء . وهذه الصيغة من التعذيب ، بما في ذلك حمامات الماء البارد ، قد كررت في تلك الليلة ثلاث مرات .. بينما كان المحققون يقولون لموكلي انهم سوف يواصلون ذلك حتى يوافق رامي ليفنه على ان يتكلم . واثناء الاستجواب ، حاول موكلي ان يحتج على ما يفعل المحققون به فأجابوه : « نحن برلمانك .. ونحن

فضاتك .. ونحن الهك » .. واخذ احدهم قطعة من الورق وسحقها في يده ثم القاها في سلة المهملات وقال لموكلي : « هذا هو القانون .. بالنسبة الي » .

وقد هدد موكلي بان ضرا بليفا سوف يلحق به اذا ما فتح فمه او اشتكى مما جرى له . ولا يزال موكلي يعاني حتى اليوم من آلام في صدره نتيجة البرد الذي اصابه من جراء حمامات الماء البارد في يناير ، والتي تعرض لها لفترات طويلة .

انني اتوجه الى شرفكم ، كشخص مسؤول عن التحقيق مع موكلي، وارجو ان تبحث كل شكاواه الخطيرة تلك دونما ابطاء . واعتقد انه لا حاجة لي الى القول بان هذا الاسلوب الوحشي من الاستجواب ، الذي وصفه موكلي ، هو انتهاك خطير لمبادئ حقوق الانسان وازدراء لكل قانون او عرف يتعلق بالتحقيق المبني على اشتباه من البوليس لا نفع فيه .. واني في انتظار جوابك في اسرع وقت .. المخلصة : فيليسيا لانجر .

وبالطبع - كما تقول الوثيقة - فان فيليسيا لانجر لم تتلق اي جواب على خطابها هذا ، ولم يبادر البوليس باجراء اي تحقيق في الوقائع التي وردت فيه .. وفي ٢ فبراير ١٩٧٢ نشرت تقريرا اخر في صحيفة ( هارتس ) عن الاسلوب الذي تعرض له رامي ليفنه في الاستجواب يؤكد ان كل ما ورد في شكاوي شوقي الخطيب صحيح .. وفي كتيب شوقي الخطيب وناق واهدات اخرى كنت ارجو ان يتسع المجال لترجمتها كلها للقارئ العربي .. واهمها الوقائع التي ادين وفقا لها في المحكمة المضحكة التي اعتمدت كلية على شهادة البوليس وعلى اعترافات اخذت من شوقي الخطيب تحت وطأة التعذيب .. ومع انه نبه قضاته الى ان هذه الاعترافات لا اساس لها من الصحة وانها انتزعت تحت وطأة تعذيب وحشي وصفته محاميته في خطابات ووثائق عديدة كان الخطاب الذي ترجمناه قبل سطور واحدا منها ، الا ان القضاة لم يعيروا احتجاجه التفانا وحكموا عليه بالسجن لمدة عشر سنوات .. مؤكدا ان موقفهم من القانون لا يختلف عن موقف المحقق البوليسي الذي سحق ورقة بين يديه القاها في سلة المهملات وهو يقول : « هذا هو القانون بالنسبة لي » .

اقول كنت ارجو ان يتسع المجال لترجمة بقية وناق هذا الكتيب الهام ، خاصة وان ثمة ملاحق به عن حالات اخرى .. ولكن ما ارجو ان ننسبه له اكثر هو ان نعمل على ان تصل الحقائق التي يحتويها هذا الكتيب وغيره الى اوسع قاعدة من القراء القريبين .. لانهم في حاجة ماسة الى ان يعرفوا الجانب الآخر من الحقيقة . صحيح ان معرفتنا نحن العرب ببعض تفاصيل الثمن الفادح الذي يدفعه الفلسطيني من أجل بلاده تثير في أعماقنا الرغبة في التفضية والامل بالنصر ، لكن معرفة الراي العام العربي بهذه التفضيات اهم من ذلك بكثير .. لانها ستحطم خرافة المثال الاسرائيلي الناصع البياض والذي عملت الدعاية الصهيونية في أوروبا على ترسيخه وكانه الحقيقة الوحيدة .. كما انها سوف تحته على ان يعمل شيئا من اجل العرب بعد طول انحياز للجانب الاسرائيلي عرفت الصهيونية كيف تستغله وتستفيد منه .

## الفيلم :

ان الحقيقة الفلسطينية تنعكس هذه المرة على مرابا يهودية ، ولكنها غير صهيونية في هذا الفيلم الوثائقي الشهادة ( ان تعيش في حرية ) والذي أعدته مجموعة من الفنانين الاسرائيليين اليساريين مع يهودية انكليزية يسارية وزنجي من جنوب افريقيا . ومع ان الفيلم ذاتي ، بمعنى انه اسرائيلي ، مهما كان حرصه على ان يقترب من الموضوعية ، وان يردد نغمة مفارقة أشد النغمة لتلك النغمة المكرورة الصهيونية المتفترسة ، فانه برغم ذاتيته تلك ، ويرغم ما به من وجهات

## اليهودية ..

والفيلم يركز على فئتين اجتماعيتين ليقدم لنا من خلال استعراضه لحياتهم ومقابلة بعض نماذج واقعية منهم كل هذه المقولات .. هاتان الفئتان هما الفلاحون الفلسطينيون في الضفة الغربية المختلة مسن نهر الاردن وفي قطاع غزة .. واليهود الشرقيون الذين هاجروا الى اسرائيل والذين يتمتعون بحق المواطنة الاسرائيلية ولكنهم في الواقع مواطنون من الدرجة الثالثة ان لم يكن من الدرجة العاشرة ... ومن خلال «تقابلات» مع فلاحي الضفة الغربية وقطاع غزة .. ثم عرض لجزئيات من الوقائع المصورة والاحداث تؤكد ما يقوله هؤلاء الفلاحون في مقابلاتهم .. نتعرف على اشبع صور انتهاك الحق الانساني .. فاسرائيل قد استولت بالقوة على منازلهم ومزارعهم التي هي من اخصب الاراضي في المنطقة دونما أي حق وبلا حتى أدنى تعويض .. وحاولت ان تجبرهم على ترك بلادهم والزواج منها بشتى الطرق ... ويلخص عدد كبير من هؤلاء الفلاحين القضية في بساطة «سناهيبة عندما يقولون انهم عانوا من ويلات الاحتلال الانكليزي ، ولكنهم لم يشهدوا اكثر وحشية ولا منطقية من الحكم الاسرائيلي .. انهم يقولون انهم مواطنون مسالون يريدون الحياة في ارضهم وزداعتها والعيش من خيرها كما عاش اباؤهم الاف السنين .. وهم مستمسكون حتى لان يدفعوا الضرائب للمحتل ما دام هذا هو قدرهم الفاشم .. لكن المسنعر الاسرائيلي لا يريد ذلك .. انه يريد تشريدهم وانتزاع ارضهم بالقوة وتحولها الى مستعمرات عسكرية يهيئها لايواء المهاجرين الذين يقيم الرأي العام الغربي ويقعده حتى يضغط على الاتحاد السوفياتي ويسمح لهم بالهجرة منه الى اسرائيل .

وعرض الفيلم صورا متعددة لهم يسيوت العرب ونسفها ، والاستيلاء على اراضيهم بالقوة ، واستنزاف قوة عملهم بعد ذلك وقد أحالهم الى اجراء معدمين ، ويؤكد من خلال هذه الصور امرين اساسيين : اولهما ان الوهم الذي بنت عليه الصهيونية دعوتها السى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، على اساس ان فلسطين - كما قال هرتزل - وطن بلا سكان وان اليهود شعب بلا وطن ، وهم خاطء من اساسه .. وان كل يهودي يهاجر الى اسرائيل يبني بيته هناك فوق اشلاء الضحايا العرب الذين تدبجهم المؤسسة العسكرية الحاكمة قربانا للمهاجر الجديد .. وثانيهما ان هؤلاء العرب الذين يطردون من بلادهم قد عاشوا فيها منذ آلاف السنين .. وان جذورهم تمتد في ترابها الى عشرات الاجيال .. وان ما يتعرضون له هو اقسى حلقة في سلسلة طويلة من القهر والاستغلال . وهذا يعني ان الحركة الصهيونية باعتبارها استعمارا استيطانيا ، هي اعلى واشرس مراحل الاستعمار التي عرفتها البشرية منذ بداية الصفحات الدامية في كتاب الاستعمار الطويل .

الفئة الثانية التي يركز عليها الفيلم ليقدم صورته الواقعية لوهم الحرية الذي يعيش فيه الاسرائيليون هي فئة المواطنين الاسرائيليين من الدرجة الثالثة .. وهم اساسا العرب الذين بقوا في فلسطين برغم سف الصهيونية وارهابها ، واليهود الشرقيون الذين هاجروا من البلاد العربية الى اسرائيل .. هنا نتيقن مرة اخرى اننا امام مجتمع فاشي فالمقابلة الطويلة التي يقدمها الفيلم مع فوزي الاسمر الشاعر الفلسطيني الذي عانى الكثير لمجرد رغبته في الحياة في وطنه .. تقدم لنا الوانا من صور الحرمان من الحرية التي يتعرض لها قطاع كبير من هؤلاء الذين يتمتعون بحق المواطنة الاسرائيلي . فالاراء التي يقدمها فوزي الاسمر في شعره ، وبتبناها في احاديثه وكتابات النثرية ليس فيها اي تطرف .. ولكن مجرد رغبته الصادقة في الحياة داخل وطنه هي بالنسبة للمؤسسة الحاكمة في اسرائيل قمة التطرف . اما بالنسبة لليهود الشرقيين فان الفيلم يقرر انهم يعيشون في اسرائيل حياة مواطن الدرجة الثالثة .. يستولون وينهبون ويحرمون من كل الميزات التي يحظى بها اليهود

— التتمة على الصفحة ٥٤ —

نظر لا نوافق عليها ، يعد نقطة هامة على منحى الرؤية اليهودية ، ينبغي العمل على تأييدها وتشجيعها على أن تصل الى اسماع العالم . فاهمية هذه الشهادة والرؤية التي يعرضها الفيلم تكمن في انها خارجة من قلب اسرائيل ، وانها تنطوي على معلومات مستقاة من مصادر اولية ومباشرة ، وعلى مشاهد وثائقية مصورة أقوى من أي محاولة صهيونية لطمس الحقيقة .

ومنذ العنوان الساخر ( ان تعيش في حرية ) يبدو وعي اصحاب الفيلم بضرورة أن يفيق الجمهور الاوروبي من اثر هذا التنويم الطويل الذي لفت خلاله مجموعة من الاوهام عن المجتمع الاسرائيلي .. ومن اول هذه الاوهام واضخمها وهم الحرية .. فقد ظل راسخا في ذهن العالم الخارجي لفترات طويلة ان اسرائيل هي « واحة الديمقراطية في الشرق الاوسط » !! والفيلم يحاول منذ الوهلة الاولى أن ينقض هذا الوهم ، وان يعرض على المتفرج صورا من هذه الحرية ، وان ينهبه الى حقيقة صغيرة ، وهي هل باستطاعة الانسان ان يعيش في حرية في مجتمع يعيش على الاستغلال والمقت والكرهية ؟. هل باستطاعته ان يعيش في حرية في مجتمع مبني اصلا على التعصب الديني والتفرقة العنصرية ؟. هل باستطاعته ان يتمتع بحريته في مجتمع تسيطر عليه مؤسسة عسكرية ذات طبيعة فاشية ؟. وعلى فرض ان بعض افراد هذا المجتمع يعيشون في حرية .. فمن تراه يدفع الثمن الفادح للحرية التي يتمتع بها هذا البعض ؟! هذه هي بعض التساؤلات التي يطرحها الفيلم ، والتي يجب على بعضها ، ويكتفي بانه اثار بعضها الآخر الشك حول كثير من المسلمات السائدة . وعلى الصعيد النظري فان الفيلم يرى ان حل الصراع الذي لا يزال قائما بين العرب واسرائيل هو باقادة دولة ديموقراطية علمانية غير عنصرية في فلسطين يعيش فيها العرب الفلسطينيون واليهود تحت ظل مجتمع علماني يمنحهم ما حقوقا عادلة متساوية .. وهو الحل الذي تنادي به كثير من منظمات المقاومة الفلسطينية .. فكيف وصل الفيلم الى هذا الحل ؟

يعرض الفيلم من البداية لمحة تاريخية عن اصول المسألة اليهودية ، وعن الوضع الذي وجد فيه اليهود أنفسهم ابان الحرب العالمية الثانية ، وعن ظروف وملابسات الدعوة الى اقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، وعن الوسائل التي تحولت بها هذه الدعوة الى واقع تجسد في قيام الدولة الصهيونية .. ويهتم الفيلم بابرز التناقض بين الدولة الحلم ثم الدولة الواقع .. جاء اليهود من كل مكان متوهمين ان الرب قد وهبهم بعد طول صلاة مكانا يجدون فيه الامن والسعادة .. ودفع كل من العرب واليهود ثمن هذا الوهم .. فما هم الفلسطينيون يفقدون وطنهم وارضهم .. وما هم اليهود الذين يظنون انهم جاءوا الى ارض الميعاد يجدون انفسهم في ظروف من العوز والاضطهاد لم يتعرضوا لها في المجتمعات التي هاجروا منها ابدا .

وإذا كان ثمة الكثير من نقاط النقد والاختلاف في العرض التاريخي الذي قدمه الفيلم .. والسذي جافى فيه بعض الحقائق الواضحة التي يعترف بها غلاة الصهاينة انفسهم مثل حقيقة ان اسرائيل هي التي بدأت حرب يونيو ١٩٦٧ وليس العرب .. اذ يدعي الفيلم بصفاقة ان مصر هي التي بدأت هذه الحرب الاستعمارية التي خطط لها في اميركا اصلا .. الا ان الجزء الشجاع والذي يحظى بالتقدير هو المقابلات الوثائقية التي اجراها الفيلم عن الوضع في الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ . ففي هذا الجزء يقدم الفيلم بصورة غير مباشرة ما ينقض زعمه بان مصر هي التي بدأت الحرب . حيث نتعرف فيه على رغبة اسرائيل الدفينة في التوسع ، وعلى نوعية الاستعمار الاستيطاني الذي تريد أن تفرسه على المنطقة .. وعلى الاشكال البشعة من الاستغلال .. وعلى المنطق الجائر والشوه للمدالة

## القضية الفلسطينية

### في كتاب ومجلة جنسية

تابع المنشور على الصفحة - ١٣ -

الغريون ، او بالاهرى فئة خاصة من هؤلاء اليهود الغربيين . ذلك لان الفيلم يشير من خلال صور دامغة لمنازل من الصفيح ولحياة دون المستوى البشري ، بينما يعطى الآخرون ، في دولة تدعي بأنها تنتمي الى الاشتراكية الدولية ، بقصور ذات حمامات للسباحة .. يشير الفيلم من خلال هذه الصور الى ان المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفيتي يحظون بهذه المعاملة ويمشون هذه الحياة القلقة في اكشاك الصفيح لكثير من اليهود الشرقيين . ان هؤلاء الذين تركوا بلادهم سعياً وراء وهم الارض الموعودة ، او فردوس الحرية والمساواة لليهود ، يجدون انفسهم يحون حياة لم تداعب خيالهم في اقسى الكوابيس . ويفقد بعضهم حتى حرية العودة الى حيث اتى ، ويتحمل البعض عذاب الاختيار الاحق الذي دفع به الى التخلي عن وطنه من اجل حلم زائف وغير يقيني .

ويكشف الفيلم بوضوح ووعي عن السبب الرئيسي في هذا المستوى الحضري للحياة الذي يعيشه اليهود الشرقيون والمهاجرون الجدد الذين يحاول الجميع محاصرة صرخاتهم التحذيرية ومنعها من الوصول الى الذين لم يهاجروا بعد . يكشف عن ذلك من خلال التحليل الطبقي الوثائقي المصور للمجتمع الاسرائيلي .. فالقاعدة الاساسية في هذا المجتمع هي الاستغلال .. ومع ان المجتمع نفسه ينهض على اساس عرقي وعنصري - الا ان الاستغلال باعتباره القاعدة الاقتصادية الاكثر صلابة قد يعمل في بعض الاحيان ضد الاساس العرقي للمجتمع .. هذه المفارقة الحادة يقدمها الفيلم من خلال صورتين بالفتى الدلالة .. اولهما صورة الراسماليين الاسرائيليين وقد هرعوا بعد حرب ١٩٦٧ الى استغلال قوة العمل العربية في المناطق التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية . لم يهتم ان ذلك يتم على حساب قوة العمل الاسرائيلية ، ما دامت قوة العمل العربية التي حرمت من مصادر دخلها بالاستيلاء على ارضها او هدم مؤسساتها الاقتصادية ، هي الارخص عند الدفع .. ففي اسرائيل ثمة قانون ينظم الحد الأدنى للاجور ويحاول حماية العمال شريطة ان يكونوا اعضاء في ( الهستدروت ) . والعمال العرب الذين وجددهم الراسمالي الاسرائيلي فجأة في متناول يديه ليسوا بالطبع اعضاء في ( الهستدروت ) ومن ثم يستطيع ان يدفع لهم اجورا اقل من الحد الأدنى بكثير . وفي بلد صغير مثل فلسطين المحتلة فان فرص العمل معدومة .. واعطاء عمل بهذه الاجور المنخفضة للعمال العرب يتم دائما على حساب عمال يهود آخرين .. لكن الراسمال المستقل يجد نفسه ازاء اغراءات الربح يسلك ضد القواعد العرقية التي ينهض عليها المجتمع الاسرائيلي ، ولكنه لا يعبأ بهذا التناقض .. ويتحقق بعض اليهود ، او قوة العمل اليهودية بالآخري ، ان الانتصارات وتوسعات المؤسسة العسكرية الصهيونية ليست متهجة كلها كما تصورها الدعاية الصهيونية ، بل انها تحمل البطالة والموز الى بعض الدور اليهودية .

الصورة الثانية التي يجسد غيرها عنف التناقضات الطبقية تتبلور في مفارقة ساخرة تكشف عن طبقة العدالة الاسرائيلية . فالمفروض ان معظم قوة العمل العربية التي جردتها اسرائيل من مصادر دخلها ليس لها حق العمل في المناطق المحتلة قبل عام ١٩٤٨ ، ولكنها بحكم قوة قانون الاستقلال الراسمالي تعمل في هذه المناطق ، وبالمناسبة فالاعمال التي تترك لها اقسى واشق الاعمال البغنية . ومن ثم فان اصحاب العمل يذهبون الى مناطق تجمع هؤلاء العمال ويتفقون معهم على العمل .. ومع ان المساومة كلها عملية غير قانونية

فان البوليس عندما يأتي يقبض على العمال ويتيح لصاحب العمل فرصة الهرب في سيارته الفارهة . ومع ان سيارة البوليس يمكن ان تطارد صاحب العمل وقد هرب في سيارته .. لكنها لا تفعل وتهتم بالتحقيق مع هؤلاء العمال الذين يقفون في جماعات وامكن ممنوعة ، تحت ظل الحكم العسكري يمكن اعتبار كل تجمع خطر ، وكل مكان ممنوع الوقوف به . ويطارد البوليس العمال ويحقق معهم .. ليست جريمتهم في الواقع انهم يعملون حيث ممنوع عليهم العمل ، او انهم يسعون للحصول على عمل حيث محرم عليهم هذا السعي ، فلو كانت هذه هي جريمتهم ، لوقع صاحب العمل الصهيوني هو الآخر معهم تحت طائلة العقاب .. ولكن جريمتهم في الواقع انهم لا يزالون برغم كل الصف الصهيوني صامدين احياء .. لم يتخلوا عن بلادهم بعد برغم انتزاع كل شيء منهم .. لم يتركوا البلاد ورحلوا .. بل لا يزالون يقاومون ويتشبثون بتراب الوطن .

بقيت نقطة هامة يثيرها هذا الفيلم عن طبيعة ووظيفة المؤسسة العسكرية الصهيونية الحاكمة في اسرائيل . وعن طبيعة التربية ذات الطابع الفاشستي التي تتبعها هذه المؤسسة في تنشئة جنودها . هذه التنشئة التي يستخدم فيها حائط المبكى ونجمة داود فضاء لنوع من التربية النازية الجديدة . حيث تستخدم رموز دينية ، وجزئيات من اساطير عرقية ، واوهام عن جيش قوي لا يقهر ، وطقوس وثنية تستخدم فيها النيران .. وغير ذلك من الخلط الغريب الذي يذكرنا بالخليط الفكري الذي استخدمته النازية في تاسيس مؤسساتها العسكرية .

واخيرا ، وبرغم اهمية هذا الفيلم كوثيقة شبه موضوعية تخرج من اسرائيل وتعرض لأول مرة جانبا من الصورة لم يتح لاحد ان يراه ويسمعه من صوت اسرائيلي من قبل . فان هناك بعض نقاط النقد على هذا الفيلم بالاضافة الى وقوعه تحت سطوة بعض المغالطات الصهيونية ، كتلك التي اشرت لها عند الحديث عن الذي بدا حرب يونيو ١٩٦٧ . فان الفيلم لم يركز على مسألة الهجرة الى اسرائيل بقدر سلامته . يتحول معه علاج هذه المسألة الحيوية فيه الى صرخة تحذير لمن تسول له نفسه الهجرة من جديد الى اسرائيل . خاصة وان مسألة الهجرة هذه ليست واحدة من اكثر النقاط تشويها في الدعاية الاسرائيلية والصهيونية ، بل انها ايضا حجر الاساس في الفكر الصهيوني . وهناك الكثير من الحقائق المظومة والمشوهة حول هذه المسألة ، خاصة والحملة الان من اجل اجبار الاتحاد السوفيتي عبر مختلف الضغوط على تهجير اليهود السوفيت الى اسرائيل . اما النقطة الثانية فهي ان الفيلم برغم ذكره في بداية العرض التاريخي ان اليهود قد عاشوا في البلاد العربية وقبل تاسيس دولة اسرائيل في ظل تسامح وسماوة لم يعرفوها في اي من البلاد الاخرى . لم يضع هذه الحقيقة في مجال المقارنة بالوضع الغريب الذي وجد اليهود الشرقيون فيه انفسهم في اسرائيل .. بل ذكر الحقيقتين متباعدتين وكان لا صلة بينهما . وكان ذكر التسامح العربي مع اليهود في مواجهة التمييز الذي يجد اليهود الشرقيون معه انفسهم مواطنين من الدرجة الثالثة في دولة اسرائيل ، يساهم بشكل اوضح في ابراز حدة المفارقة وفي هدم الكثير من الافكار الدعائية الخاطئة التي تنهض عليها الفكرة الصهيونية . كما انه يساهم في نفي الكثير من الافكار الخاطئة عن ان العرب ينظرون على عداء تقليدي لليهود ، وهو الذي يدفهم الى محاربة اسرائيل ، بينما الواقع ان الصهيونية هي التي انشأت هذا العداء حيث لم يكن له قبل قيام الدولة الصهيونية اي وجود .

### مجلة جنسية

اخيرا يأتي دور اطرف واغرب المعالجات التي تناولناها جميعا وهي تناول مجلة ( بلاي بوي ) الشهيرة للجنسية في عددها الرابع من هذا العام .. فحينما رأيت على غلاف المجلة ، وجنبا الى جنب

مع الصورة المثيرة العارية التي تستلقي على صفحة الغلاف .. مع اهم العناوين المثيرة لمحتويات العدد ، هذا العنوان المثير ايضا ( الحياة والموت في اسرائيل ومصر ) اندهشت جدا .. ولما تصفحت العدد ووجدت ان به موضوعين عن اسرائيل ومصر يشغلان اكثر من عشرين صفحة من صفحات المجلة .. قلت فلادفع نصف جنيه استرليني - لمن طبعة شعبية من كتاب محترم - في عدد مجلة ( البلاي بوي ) وامري لله .. فحشرين صفحة في مجلة ( بلاي بوي ) التي تخاطب المراهقين الغربيين بعدة لغات ، وهم كثيرون ، ليست امرا هينا . ويستحق من انسان مهوم بالصراع العربي الاسرائيلي مثلي ان يلقي عليها نظرة ولو من باب العلم بالشيء .. فكيف يا ترى قدمت مجلة ( بلاي بوي ) لقارئها الكثيرين حقائق الصراع العربي الاسرائيلي .. ؟ ولماذا افردت اكثر من عشرين صفحة من صفحاتها الانيقة الغالية التكاليف للقضية من هذا النوع وهي التي اعتادت ان توجه كل صفحاتها للغدفة رغبات الفراء الجنسية ؟! .. حتى نجيب على هذا التساؤل علينا ان نعرف اولاً ماذا قدمت المجلة في هذه الصفحات .

من الوهلة الاولى تحاول المجلة ان تعطي لقارئها انطباعاً زائفا بانها تنحو منحى موضوعيا في معالجة مثل هذا الموضوع الشائك .. اذ تتناوله في دراستين منفصلتين ، احدهما بعنوان ( ضربة الدم في وقت الحصاد ) بقلم هربرت جولدم تتناول الجانب الاسرائيلي ثم تليها دراسة اخرى بعنوان ( الانبعاث ) بقلم مارشال فريدي تتحدث عن الجانب المصري .. وقد خصت المجلة امعانا منها في هذه العدالة الموضوعية احدى عشرة صفحة - كاملة لم نعد معها الاعلانات او النكات او الصور العارية - للدراسة او المقالة التي تتحدث عما جرى على الجانب الاسرائيلي اثناء وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وتسع صفحات كاملة ايضا لما حدث على الجانب المصري .. ومن البداية ، وقبل ان نخل ونلخص ما دار في كل دراسة على حدة احب ان اشير الى ان الوضع الذي قدمت به المجلة هذا التناول المطول للنزاع العربي الاسرائيلي ، والذي حاولت من البداية ان توحى بموضوعية موقفها منه ينطوي على مغالطة جلية وهي ان الصراع ليس صراعا مصرية اسرائيليا بقدر ما هو صراع عربي وفلسطيني اسرائيلي . فالمجلة تريد ان تقدم لقارئها الموقف على انه صراع بين دولتين في منطقة واحدة هما مصر واسرائيل - تضعهما على قدم المساواة - ناهيك عن تحيزها الواضح في المعالجة والذي سيتكشف بعد قليل . وتسقط من حسابها تماما وجود شيء اسمه فلسطين او الفلسطينيون ، او وجود عالم عربي له قومية واحدة ومصير واحد زرعت في وسطه هذه الشوكة الاسرائيلية الاستعمارية لتمنعه من الوحدة والقوة . ولتساعد القوى الاستعمارية على تمكين نفوذها فيه .. لكن قبل ان نستطرد في تحليل الموقف الحقيقي للمجلة من الصراع العربي الفلسطيني - دون ان ننسى بالطبع انها مجلة امريكية - علينا ان نقدم للقاري اولاً نوعاً من الملخص التحليلي لما قدمته في الدراستين ، او بالاحرى قراءة عربية لهاتين الدراستين قبل ان نتحدث اليه عن بعض ما تنطوي عليهما هاتان الدراستان من رؤية زائفة وخبيثة للقضية الفلسطينية والعربية عامة . وسأبدأ بالدراسة العربية مع ان المجلة قدمت الدراسة الاسرائيلية اولاً . آسف لانني قلت العربية فهي ليست كذلك ، وليست حتى مصرية ولكنها دراسة امريكية الرؤية عن مصر - او عن ما تتوهم امريكا انه العدو السابق لسياساتها في المنطقة ..

يبدأ المقال بتصوير العبور على لسان الجندي الاسرائيلي الذي بعث باشارة لاسلكية الى قائده من خط بارليف يقول فيها ، الاف منهم يسبحون نحونا .. يا الهي .. كما لو انهم الصينيون قد قدموا عابرين لنا .. لكن هذه الاشارة المتعاطفة معنا لا تخفي انحياز الكاتب الى الرؤية والتفسير الاستعماري والصهوني للاحداث .. وان كان التقاطح لبعض الاحداث والجزئيات التي عاشها اiban

زيارته لمصر بمد حرب اكتوبر ١٩٧٣ تعكس بعض الجوانب الموضوعية للحقيقة ، وخاصة فيما يتعلق بالموقف من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي كما تمثله مختلف وجهات نظر الطبقات التباينة في المجتمع المصري .

ومن هذه المواقف التي تعكس بعض جزئيات الموقف الاجتماعي من اميركا .. حديثه عن سائق التاكسي الذي اقله من المطار الى الفندق .. فحينما ساله عن جنسيته واجاب انه امريكي .. قال له « لو عرفت انك امريكي لما اخذتك معي ولما سمحت لك ان تتركب تاكسي .. فكل الامريكيين رديئون . رديئون جدا .. انهم يساعدون اسرائيل لكي تقتل المصريين ، ان روسيا تبيع لنا السلاح ونحن ندفع لكن كل هذا لنا .. هذه ارضنا وهذه اشياؤنا .. اما الامريكيون ، فانا اقول لك انهم قتلوا اخي واختي في السويس عام ٦٧ بطائراتهم الفانتوم .. لو عرفت انك امريكي قبل ان تتركب لما اخذتك ممسي ابدأ .. ولما توقف التاكسي في اشارة المرور ، حيا السائق احد جنود المرور وتحدث معه وفي نهاية الحديث استدار سائق التاكسي وقال له « اترى انه هو الآخر يوافقني على ان الامريكيين رديئون جدا وشيروون » .. لكن عندما تحرك هذا الصحفي الامريكي الى عالم اجتماعي اخر .. حيث يعرف مواطناً من الذين كان يتجاوز دخلهم في العام ٢ مليون دولار قبل عبدالناصر يقال له فوزي ومعه مجموعة اخرى من اعضاء نادي الجزيرة .. وحكى لهم قصته مع سائق التاكسي وعسكري المرور .. اعتدروا له بشدة .. وقال له احبهم .. « ان ذلك محض هراء .. هل اخذت اسمه او رقم سيارته .. لا اهمية لمسألة اخيه او اخته .. ان ذلك شنيع وغير متسامح » .. اوه ياروح البوليس القذرة في ما يسمونه بعصر الحريات ! . ويقدم لنا الكاتب تنوعاً اخر عن نفس النغمة حينما يقول له مواطن قاهري مرموق - حسب تعبير الكاتب - في معرض الدفاع عن تدله المصريين في هوى امريكا « ان المسألة مثل ان تشق فتاة ولكنها كل مرة تعاملك بطريقة سيئة مرة ومرة ومرات .. وتقول لك اذهب الى الجحيم .. بعد فترة فانك ترغب في ان تقول لها نفس الشيء .. ترى ماذا حدث لأمريكا ؟ .. الم تيقن بان هناك ١٠٠ مليون عربي يموتون رغبة في الارتباط بها والالتحاق بالغرب ؟ .. بحق الجحيم اي شيء مشترك بيننا وبين الروس .. هؤلاء البطاطس الشيوعية ؟! احب ان اقول لك ان هذا هو اجن زواج في التاريخ .. لكن اي اختيار لعين دفعتنا اليه امريكا ؟ » .. هذا ما يقوله له المواطن القاهري المرموق جدا وهو يدافع باسم مائة مليون عربي عن امريكا .. لكن الكاتب يقدم لنا جزئية واقعية اخرى تشككنا في حديث هذا المواطن المرموق .. فعندما توجه الى خط بارليف في سيارة جيب مصرية كان هناك جندي مصري يجلس في المقعد الامامي ومعه سلاحه الاوتوماتيكي .. وعندما ساله عن جنسية سلاحه اجاب « انه سلاح روسي .. انه الافضل » ولما توغلت بهم السيارة قليلاً في داخل منطقة ٢/٣ ١ % من جزيرة سيناء الذي عاد الى السيطرة المصرية (إم) المحدودة شاهد حطام الطائرات الامريكية الصنع ، وعلى ذهل طائرة ( سكاى هوك ) محطمة .. والى جانب نجمة داود الاسرائيلية كانت هناك العلامة التجارية التي تقول « شركة دوجلاس لصناعة الطائرات .. لونيچ بيتش . كاليفورنيا » .. فهل كان هذا دليلاً في جانب سائق التاكسي وعسكري المرور ضد المواطن القاهري المرموق .. حيث السلاح الحي في اليد المصرية روسي وحيث الحطام العدو الميت فوق رمال سيناء امريكي الصنع ..

(إم) يقدر الشريط الذي تتناوله اتفاقية فصل القوات على الجهة المصرية ب ٥ % فقط من مساحة سيناء .. وقسمة الى ثلاثة شرائط طويلة متساوية احدها للقوات المصرية المحدودة والاخر لقوات الامم المتحدة والثالث لقوات اسرائيل المحدودة اما بقية ال ٩٥ % من مساحة سيناء فلا تزال تحت الاحتلال الكامل .

لكن الكاتب لا يتركنا طويلا عند هذا الجانب من الحقيقة .. بل يتحرك بنا مرة اخرى في سهرة الاستوقراطية ، ويستدعي لنا ذكرياته عن حفلات ( مرضعة فلاون ) كما يسميها الشيخ امام .. هذه الحفلات التي تعطي المواطن ( فوزي ) احساسا حقيقيا بأنه عربي كما يقول « ذلك معنى ان تكون عربيا .. انني احس بانني عربي مثلما احس عندما استمع اليها تفني . ان ذلك مثل ان ترد الى الكنيسة بعد فياب طويل عنها » فيا له من مفهوم طريف عن العروبة التي يستشعرها الانسان في حفلات ام كلثوم .. عروبة التذكرة ذات العشرة جنيهات .. لا عروبة الامل المشترك والنضال المشترك .. فهذا المواطن المجل فوزي الذي عاش على هامش المجتمع طوال السنوات العشرين الماضية والذي يتمسك بعنف بلحظة الانبعاث لم يشمر بعروبه اثناء الحركة ، ولكنه وجدها في حفلات ام كلثوم ..

وبنفس الطريقة الامريكية في تجميع الجزئيات المتعارضة وذات الدلالة يجمع لنا الصحفي الامريكي في مقاله الطويل ذاك مجموعة اخرى من الجزئيات .. ما قاله له البعض في امريكا عندما اندلعت حرب ١٩٧٣ من ان العرب قد جنوا ، وانهم بذلك يوجهون دعوى الى الدمار الكامل لبلادهم .. كان ذلك في اليوم الثاني من اندلاع الحرب .. ولما توالى الايام وتبين ان الدمار الكامل يقترب من اسرائيل وليس من العرب بدأت امريكا تمد اسرائيل بمصا موسى التي قد تنقذها من اليم .. بعد ان تكسرت كل عصيها السابقة على صخرة التكنولوجيا الروسية في يد الانسان العربي المثقف المتطلع الى تحرير بلاده من كل سيطرة استعمارية .. فهذه الامكانيات الامريكية وحدها امكن للمؤسسة العسكرية الصهيونية ان تتجنب الانهيار ، وامكن لها ان تفوق الانسان العربي ، مؤقنا .. واشدد على «وقنا عن تحرير ارضه واسترداد حقه في وطنه .. وهذه الحقيقة التي يذكرها الكاتب بسرعة اصبحت الآن شيئا معروفا في الغرب يدرس الجميع كل تفاصيله .. وهو ان اسرائيل بالفعل كانت على حافة الانهيار ، وان العرب ايضا كانوا على حافة الاستعادة الكاملة لحقوقهم .. لولا ان اندمقت امريكا بكل ثقلها تؤيد اسرائيل في الاحتفاظ بالارض التي احتلتها ، وتمنع العرب من استرداد حقوقهم .

اما المقال الاسرائيلي فهو بالفعل اسرائيلي تماما .. كتبه يهودي امريكي .. آسف صهيوني امريكي .. هاجرت ابنته الى اسرائيل .. وكان جزعه على اسرائيل وقت الحرب جزءا على فلذة كبده حقيقة لا مجازا .. والمقال بعنوان ( ضربة الدم في وقت الحصاد ) بقلم هيرت جولد .. والكاتب يبدأ مقاله بالاعتراف بأنه يهودي، وصهيوني ايضا .. بمعنى انه تواق توقفا شديدا لانه يموت ويحيا من اجل اسرائيل .. وانه اكتشف نفسه عندما اكتشف القدس .. وانه سافر في العام الماضي الى اسرائيل ثلاث مرات .. كانت الاولى لكي يكتب - كما يقول - عن حياة اليهود الروس الذين هاجروا الى اسرائيل بعد احتجازهم .ه عاما خلف الاسوار السوفيتية التي لانت اخيرا للضغط الامريكي . وكانت الثانية في أغسطس لكي يحضر مؤتمر دوليا في القدس للكتاب والغنائين حيث كانت اسرائيل على حد تعبيره تظلي بالامل والفرح، وحيث كان ما بعده العالم الخارجي خطرا مجرد تحسد جديد لهؤلاء الناس الذين يحسون بان الصحة في الخطر .. اما الثالثة فكانت في اكتوبر - لا حيث عاش ممارسة هؤلاء الناس صحتهم وقت الخطر كما قال قبل سطور - بل حيث الاطلاق والحرب والارهاق على الوجوه التي عراها الشعوب .. ومن البداية يصف لنا هيرت جولد المشهد على الجانب الامريكي ، وكيف احتشد الاف الاسرائيليين والامريكيين في طوابير طويلة انتظارا لحجز مكان على كل الطائرات المسافرة كاملة العدد اثناء بدايات الحرب الى اسرائيل . وكيف ان بعض المودعين ، وقد امتلأوا بوهم الاقتدار الاسرائيلي الكلاب

يقولون لمن يسافرون للالتحاق بالجيش « انهوها بسرعة ثم عسودوا الينا مع بداية الاسبوع القادم » فالعرب مع العرب في نظر هؤلاء الامريكيين مثل غزوة امريكية على اكواخ الهنود الحمر ، ينجزها ( الشجع ) بسرعة ويهود واثقا من النصر .. نفس النغمة الامريكية التي قالت ان العرب وجهوا دعوة سافرة للدمار بيديهم هذه الحرب . ويصف لنا الكاتب كيف ان الطوابير كانت تمتد لمدة خمسة ايام في المطارات الامريكية المختلفة . وكيف ان معظم المسافرين اما طلبة مستعدون الى الانضمام الى وحداتهم او سياح اسرائيليون قطعت عليهم الحرب المتعة بسياحتهم الامريكية ، لتستبدلها في ظنهم بسياحة سريعة اخرى على الجانب العربي يعودون منها بأسخى الحصاد . او امريكيون متطوعون ، يقول ان معظمهم اطباء متطوعون لمعالجة الجرحى ، او صحفيون يريدون متابعة الاحداث .. المهم ان الجميع يفهم هذا الاحساس ، او قل هذا الوهم بأن المسألة كلها مجرد نزهة امريكي في ربوع الهنود الحمر .. او هي لمبته المفضلة بهم وعلى حسابهم .. غير ان هذا الاحساس وهذا المشهد كان يعكسه صوت نشاز - في رأي الكاتب .. هذا النشاز الوحيد هو امسرة اسرائيلية تشنج في بكاء مر «تواصل .. هي عائدة ، لا لتشارك في هذه النزهة المتوهمة ، بل لتشارك في دفن ابنها الذي قتل في الايام الاولى للحرب ، وقد علمت اليوم - كان هذا اليوم الذي يكتب عنه هو ١٠/١٣ لانه يكتب مقاله في صورة يوميات - فقط بالرقم الحقيقي للقتلى . ومن هنا فهي الحقيقة الوحيدة وسط مشاعر من الوهم المتواصل ، او هي الارهاص بما سوف يقابله الصحفي الامريكي في رحلته الثالثة المختلفة المذاق الى اسرائيل .. ونمضي الرحلة ، ويعثر الصحفي الصهيوني على مكان الى اسرائيل ، ويسافر مع نفس السيدة الباكية طوال الرحلة والتي وجدت سيارة رسمية تنتظرها على المر عند باب الطائرة لتأخذها مباشرة لدفن ابنها الذي انتظرت جثته عدة ايام .

وبعد وصف الرحلة يعالج المقال موضوعين اساسيين خلال مجموعة من اليوميات العديدة التي تمتد الى ما بعد وقف اطلاق النار .. الموضوع الاول هو محاولة اعطاء «مائة اسرائيل والصدمة او الضربة القاسية التي تلقنتها وجها انسانيا مؤثرا جدا يستدعي عطف العالم ويستدر عواطف القراء .. والثاني اثاره مجموعة رهيبه من المفالطات عن القضية وتقديمها بشكل يوحي بانها الحقائق او البديهيات المسلم بها حول هذا الموضوع .. ولتحدث اولا عن جهود الكاتب في المجال الاول .. تلك الجهود التي تبدأ منذ عنوان المقال ذاته ( ضربة الدم في وقت الحصاد ) .. ففي موسم جني المحصول الرئيسي الذي يعتمد على تصديره الاقتصاد الاسرائيلي وهو البرتقال والمواج المختلفة ، جاءت الحرب تطالب الناس بان يتركوا الحصاد ويدفعوا ضريبة الدم .. هكذا يسميها ، بينما هي في الواقع ضريبة الاقتصاب والعدوان . تلك الضريبة التي لا بد ان تدفعها اسرائيل ما دامت مصرة على احتلال ارضنا ، والتي علينا نحن ان نجبرها على ان تدفعها كل يوم ، لا ان نضع بيننا وبينها قوات الامم المتحدة التي تحمي امنها وتضمن لها البقاء آمنة في اراضيها المحتلة . ويصف الكاتب كيف كانت ضريبة الدم هذه باهظة .. ها هي اسرائيل كلها وقد باتت بلا رجل قادر على العمل ، كل بنيتها يقاقلون بالاسلحة الامريكية من اجل ما تسميه المؤسسة العسكرية امن اسرائيل ، وفي الواقع من اجل العدوان والتوسع .. وما هم المتطوعون الامريكيون يتدفقون على اسرائيل لمعاونتها في كل شيء .. ولم يعد في كل اسرائيل سوى الصفار والمجائر والجرحى .. لم تبق حتى سيارة لنقل ما يمكن للصفار جمعه من المحصول .. ( يا حرام ! ) .. والمهاجرون الجدد ينزلون من الطائرات ويتوجهون رأسا الى العمل ، وخاصة الاطباء والممرضات ، لا يجدون حتى فرصة للراحة من طول السفر ( يا عينها ) .. والرعب يسيطر على كل شيء .. ويصبح جزءا من الحياة اليومية ،

فهذه فتاة ترفض الزواج الا اذا زودت شقتها بغرفة مضادة للقنابل تحمي اطفالها .. لقد بدأ الرعب يدخل الحياة اليومية للاسرائيلي ، وهذا هو دورنا في اي حرب .. ان نقلها الى هناك ، ان نجهد على الوهم القائل بان اسرائيل هي آمن مكان لليهودي .. بل لا بد ان تكون اخطر مكان عليه ، وان يحس يهود اسرائيل بان لا حياة لهم في ارض الاخرين وان يشعر يهود العالم بان المكان الذي يعيشون فيه آمن بالنسبة لهم من اسرائيل مهما كان هذا المكان وايا كان .. ولهذا السبب نفسه كان احساسنا بعظمة العمليات الفدائية الاخيرة للجهة الشعبية ( القيادة العامة ) وللديموقراطية .. ويمكن ان يقبس عن الرد الاسرائيلي باعتباره دليلا على فداحة الصدمة ان يتيقن من اهمية هذه العمليات الاخيرة ومدى تأثيرها على المجتمع الاسرائيلي نفسه ، وعلى الحركة الصهيونية في العالم الخارجي .. ومن يعيش في الخارج من العرب ويهتم بدراسة منحنيات تطور الواقع العربي على مراسم الخارج يمكنه ان يدرك ايضا طبيعة السمار الذي انتاب الحركة الصهيونية نتيجة لهذه العمليات التي جعلت كل من يرغب في الهجرة الى اسرائيل يفكر مرتين ، وكل من يرغب في الهجرة منها يسارع بحزم حقائبه والهروب بأسرع ما يمكن .. وليس ابلغ على تصوير حالة اليأس التي بدأت تنتاب الاسرائيلي عقب حرب اكتوبر من قول الشاعر الاسرائيلي ( «وشي دور » ) لهذا الكاتب الصهيوني الامريكاني .. اننا في وضع مأساوي .. ان علينا ان نخوض حربا كل ستة او سبعة اعوام حتى يتم دمار اسرائيل او تنهار الروح اليهودية .. ان هناك ثلاثة ملايين وضعوا انفسهم في وضع مأساوي الآن .. اما استاذ الدراما في الجامعة العبرية ( جيرشون شاكيد ) فانه يقول له .. ان المهم بعد كل هذا ان يتكلموا معنا وان يعقدوا «معنا سلاما .. فهذا هو المخرج الوحيد لاسرائيل من ازمته .. فهل يمكن للعرب ان يتبنوها السى ان عليهم الا يتكلموا مع اسرائيل الآن والا يعقدوا معها سلاما ؟ .. حتى لو تيقن بعضهم من العجز الآن ، هل بإمكانهم ان يكفوا عن المصادرة على المستقبل ، وربما استطاع الجيل القادم ان ينجز «ا لم ينجزوه هم ؟ .. وهل تنبهوا ان الثمن الذي تعرضه اسرائيل لامنها ستدفعه من ارضنا نحن . وان اسرائيل لو كانت تريد السلام لا التوسع للزم عليها في اي محاولة للسلام ان تقفل باب الهجرة اليها في وجه اي قادم جديد ؟ ..

النوع بعد مهارة كينسنجر الالمانية ، وبعد لعب الاميركيين النووي التي يريدون ان يهدوها لصر واسرائيل فيمنع تحت تهديد الرعب النووي اي حرب في المنطقة ويرسخوا اسرائيل فيها للابد !؟

١٠٠ الجانب الاخر في المقال ، وهو جانب المغالطات الرهيبة التي يقدمها الكاتب وكانها حقائق فهي عديدة ، وبعضها ساذج لدرجة انني لا احتاج الى الرد عليه في العربية ، وان كان لا بد للاعلام العربي والرسمي ان يبذل جهدا للرد عليه في المنابر الغربية حيث تنشر هذه الاكاذيب .. لكن بعضها الاخر حقا يشير الاهتمام .. مثل مغالطة ان اسرائيل منحت العرب السلام والانسحاب الكامل من اراضيهم لكن العرب رفضوا هذا .. ومثل مغالطة ان اليسار العالمي الذي يؤيد الحق العربي يقف «مع شيوخ البترول» ، وهذه احدى صور تقديم الحقائق الى العالم الغربي بصورة ساحرة ومشوهة .. ومثل مغالطة ان سبب الحرب في الشرق الاوسط هو ان روسيا تريد بترول العرب .. فمن من قراء مجلة ( البلاي بوي ) يعرف ان لدى روسيا فائضا بتروليا ضخما .. وان العالم كله ليس كالفرب شديد التعطش الى البترول العربي ومثل مغالطة جولدا مائير حينما قالت له « من يتنكر بيسافرا الان » وكان العالم ينسى بعد فترة .. وهذا ما تعتمد عليه اسرائيل .

وفي النهاية بقيت خاطرة تحدرني .. لقد هزمتنا بالفعل عام ١٩٦٧ وكان حجم الهزيمة كبيرا .. لكننا بعد هذه الهزيمة اتخذنا موقفا صحيحا من القضية العربية الاسرائيلية ، عندما رفضنا الاستسلام لاسرائيل وعقد اي سلام «معها» ، ورفضنا التنازل عن اي شبر من اراضيها .. ورفضنا المساومة على حقوق الشعب الفلسطيني .. وما يحيرني هو اننا وان لم ننتصر انتصارا كاملا على اسرائيل عام ١٩٧٣ بسبب الدعم الامريكاني الزهيب لها في ميدان القتال .. فقد وضعنا اقدامنا بالفعل على طريق النصر والحققنا باسرائيل ضرا احست معه بان احتفاظها بارضنا ليس بلا ثمن .. ومع كل ذلك نستعد لجلس «مع اسرائيل ونسألها وتتناقض معها .. وتتنازل عن اراضيها او عن جزء منها ونساوم على الحق الفلسطيني .. اقول نستعد لان هذا ما يلوح في الافق الان .. خاصة بعد ان جلسنا بالفعل معها ووقعنا على الصعيد العسكري بعض الاتفاقات .. فهل كان لا بد ان نضحى ونحارب ونوشك ان ننتصر حتى نسلم في بعض ما رفضنا التسليم فيه عقب الهزيمة ؟! .. ولو سامحت الاجيال القادمة جيلنا ، لانه ضعف او فرط او حتى انهزم ، فهل ستففر له انه صادر على مستقبلها وعلى قدرتها على استرداد الحقوق العربية السليبة ؟! .. وهل وقعت المنطقة العربية تماما في شرك الصهيوني الماكر كينسنجر وفي احواله الاستعمار الامريكاني ؟! .. هذه تساؤلات مؤرقة لا يستطيع لها جوابا .. فهل عند احد منكم عليها اجابه شافية ؟

لندن

## دراسات ادبية

### من منشورات دار الآداب

مذكرات طه حسين	د . طه حسين	بين آدم وحواء	د . زكي مبارك
من أدبنا المعاصر	» »	التكسب بالشعر	د . جلال الخياط
تجديد رسالة الفجران	خليل الهنداوي	شخصيات من ادب المقاومة	سامي خشبة
الادب المسؤول	رثيف خورني	سيمون دو بوفوار أو مشروع الحياة	فرانسيس جاسون
اصوات غاضبة في الادب والنقد	رجاء النقاش	كامو والتمرد	لدولويه
وتبقى الكلمة	صلاح عبدالصبور	بابا همنفواي	١ . ١ . هوتشتر